مصر بين المصادر التاريخية والكتاب المقدس منذ بداية الأسرة الحادية والعشرين وحتى نهاية العصر الفارسى الأول (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ جيهان أحمد ماهر عبد الحليم

الملخص باللغة العربية

يمثل العصر المتأخر فى مصر الفرعونية مرحلة من أكثر المراحل صعوبة فى دراستها، حيث تعددت المصادر التى تناولته وتشعبت علاقات مصر بالعالم الخارجى بين التحالفات والحروب المتبادلة.

من خلال هذه الدراسة يحاول البحث قراءة الأحداث التاريخية لهذه المرحلة ومقارنة المصادر المختلفة، حتى نهاية العصر الفارسى الأول؛ وذلك لأن الكتاب المقدس لم يشر فى أى من أسفاره إلى مصر فى عصر الأسرات المتأخرة من الثامنة والعشرين وحتى الثلاثين.

ABSTRACT

Egypt between Bible and historical sources from 21st dynasty till the first Persian conquest

The late period represented one of the most difficult era in Ancient Egyptian History because we have many sources about the relation between Egypt, Jewish and near eastern nations.

In this study, I try to read and compare all sources till the first Persian conquest because the Bible don't mention Egyptian History after the first Persian conquest.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يناير، الجزء الأول ٢٠٢٠.

بداية المرحلة

يبدأ العصر المتأخر بحدث هام جدا وهو وجود عاصمتين لمصر:

الأولى: طيبة التى كان يحكم من خلالها كهنة آمون من أسرة حريحور الذى تمتع بشعبية كبيرة بين المصريين.

الثانية: برزعمسسو وحكم فيها أسرة كان زعيمهم هو سمندس حسب تسمية مانيثون وإن كان أصل الاسم هو نس با نب جد معتمدين على مكانة كبيرة اكتسبوها من التجارة الخارجية وحمل أغلب ملوك هذه الأسرة تسمية المختار من آمون أو محبوب آمون، وكانوا يتوددون للكهنة[١] أو الزواج منهم حيث كان يحرص الملوك على تزويج بناتهم من كبار الكهنة لآمون، ومن هنا اشتهر لقب (الزوجة المقدسة لآمون) [٢].

كما ارتبطت هذه المرحلة ببداية الاعتماد على وحى آمون المقدس حيث نُفِى العديد من المعارضين لتواجد الكهنة ودورهم بناء على وحى الإله آمون وقبول الملك بهذا.[٣]

أما عن آثار العصر فهى قليلة؛ للغاية وذلك لأن العاصمة كانت فى الدلتا، وهى منطقة من الصعب الحفاظ على الآثار فى تربتها.

أهم الأحداث التاريخية فى الأسرة الحادية والعشرين:

لا نملك من العلاقات المصرية الخارجية إلا القليل ويتمثل فى لجوء الأمير هداد حاكم إدوم فى جنوب فلسطين إلى مصر هربا من بطش قوات داود وقائده يعقوب وتزوج هداد من أميرة مصرية وعاد إلى بلده بعد وفاة داود وأصبح عدوا لسليمان، وبعد أن اتسع مُلك سليمان تحالف مع المصريين، وقام الملك المصرى بإظهار قوته لسليمان حيث أرسل بعض قواته إلى جنوب أرض

كنعان ويقول النص (صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة وأعطاها مهرا لابنته امرأة سلين جازر وبيت حورون السفلى وبعلة وتدمر فى البرية فى الأرض وجميع مدن المخازن التى كانت لسليمان ومدن المركبات ومدن الفرسان ومرغوب سليمان الذى رغب أن يبنيه فى أورشليم وفى لبنان وفى كل أرض سلطنته. وجميع الشعب الباقين من الآموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من بنى إسرائيل أبناؤهم الذين بقوا بعدهم فى الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم)[٤].

ويتضح من هذا النص أن مصر، وإن كانت فى مرحلة ضعف إلا أنها كانت أقوى من بنى إسرائيل.

أما عن الوضع الداخلى فلا يوجد من أحداث إلا قيام الكهنة بالحفاظ على مومياوات الأجداد، حيث نُقِل العديد من جثث الملوك إلى مقابر أخرى فمثلا وضعت جثة رمسيس الثانى فى قبر أبيه سيتى الأول، ثم نقلت مع جثث أخرى إلى مقبرة أمنحوتب الأول، ثم إلى مقبرة الملكة أن حعبي، ثم أودعت مومياوات أخرى فى مقبرة أمنحتب الثاني[٥].

الأسرات المهجنة[٦]:

كان أصحاب هذه الأسرات من التمحو الذين ظهروا للمرة الأولى فى النصوص المصرية من الدولة القديمة إضافة إلى بعض سكان جزر البحر المتوسط الذين تجاوزوا الحدود إلى نواحى ليبيا، وقد عرف هؤلاء فى عصر الأسرة ٢١ باسم الربو وربما يكون منها جاءت تسمية الليبيين.

ارتبط بهذه المجموعات لقب رئيس المشواش أو الماخيموى وكان مركزهم الرئيسى فى الدلتا وربما تحديدا فى صا الحجر[٧].

وكان هؤلاء الماخيموى يمثلون عنصرا قويا فى الجيش، واستقر بعضهم فى الفنتين مع الحاميات الأجنبية، ويشير ديودور إلى أنهم كانوا يمثلون فرعا من سلاح الفرسان، والملاحة[٨].

تمكن هؤلاء الحكام من الوصول إلى العرش وتحكى الرواية أن كبير العائلة كان اسمه نمرود وكان له قبر فى أبيدوس، حدث اعتداء عليه فاشتكى ابنه شاشانق إلى الملك الذى استدعى وحى الإله فأثبت صدق ما قاله الأمير فحكم لوالده بأن يوضع له تمثال فى معبد أوزيريس بأبيدوس[٩] وزوج شاشانق ابنه من ابنة الفرعون المصرى وكان اسمها ماعت كا رع وتمكن الأب شاشانق من السيطرة على مصر، واتخذ عاصمة له فى تل بسطة وعمل على إرضاء ملوك مصر السابقين من خلال حمل ألقاب اتخذها من قبل ملوك الرعامسة، كما قاموا بإنشاء بوابة لهم فى معبد الكرنك تعرف باسم بوابة البوباسطيين.

الملك شاشانق يتلقى سيف الانتصار من آمون على بوابة البوباسطيين.

أهم الأحداث التاريخية:

وفقا لأسماء المدن المدونة على بوابة البوباسطيين حيث إن أول تسعة أسماء فى القائمة كانت للأقواس التسعة، ونقل لبسيوس لوحة عليها أربعة

أسماء إلى متحف برلين، وعلى الرغم من ذكر اسم أورشليم فى الكتاب المقدس للتعبير عن انتصار شاشانق إلا أنها لم تذكر فى النصوص المصرية اللهم إلا إذا كانت مكتوبة فى الصف المهشم، كما ينبغى الإشارة إلى أن بعض المدن كتبت فى خرطوشين(١٠).

فتحت مصر أبوابها أمام الهاربين من وجه سليمان (وطلب سليمان قتل يربعام فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر وكان فى مصر إلى وفاة سليمان)(١١).

ولما توفى سليمان ومزقت وحدة اليهود كان لشاشانق رأى أن يقف مع يربعام ليحكم عشرة من أسباط اليهود ولم يتبق لرحبعام ابن سليمان إلا سبطى يهوذا وبنيامين وحقق انتصارا كبيرا وتدميرا، وطبقا للكتاب المقدس (فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان، فعمل الملك رحبعام عوضا عنها أتراس نحاس وسلمها ليد رؤساء السعاة الحافظين باب بيت الملك)(١٢).

حققت هذه الانتصارات – التى أشارت إليها بوابة البوباسطيين، والكتاب المقدس– مكانة كبرى لمصر وظهرت التماثيل الملكية المصرية فى فينيقيا وغيرها(١٣).

انقسم البيت الحاكم بعد ذلك إلى مجموعات وقسمها مانيثون إلى أسرات فكانت الأسرة الثالثة والعشرين التى كان أشهر حكامها الملك بادى بسطة، والذى تلقى خطابا من حاكم أسبرطة يبلغه برغبته فى مشاركة مصر بدورة الألعاب الأوليمبية التى انطلقت لأول مرة عام ٧٧٦ قبل الميلاد، إلا أن الملك المصرى رفض المشاركة(١٤).

وتأتى الأسرة الرابعة والعشرين لتقدم نموذجًا مختلفا لعلاقة المصريين

بالعالم الخارجى من خلال النصوص المصرية ونصوص الكتاب المقدس، حيث تمكن تاف نخت وهو أحد أحفاد شاشانق أن يحكم من سايس ولكنه واجه أزمة كبيرة من الكوشيين وهم أبناء أسرة بى وكان يتزعمهم بيعنخي. ولكن بعد أن غادر بيعنخى عاد تاف نخت وحكم مصر وعقد تحالفًا مع ملك السامرة عاصمة العبرانيين الشمالية وفى الكتاب المقدس كيف انتقم حاكم آشور من ملك السامرة لتحالفه مع مصر (فى السنة الثانية عشرة لاحاز ملك يهوذا ملك هوشع بن ايلة فى السامرة على إسرائيل تسع سنين وعمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله وصعد عليه شلمناسر ملك آشور فصار له هوشع عبدا و دفع له جزية ووجد ملك آشور فى هوشع خيانة لأنه أرسل رسلا إلى سوا ملك مصر و لم يؤد جزية إلى ملك آشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك آشور وأوثقه فى السجن وصعد ملك آشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين) [١٥].

انتقل الحكم بعد تاف نخت إلى ابنه باكن رنف الذى أشارت إليه نصوص الكتاب المقدس ديودور باعتباره أحد أكبر المشرعين فى العالم القديم.

بدأ هذا الملك حكمه بتأييد مدن فلسطين ووقف مع هانو حاكم غزة ضد الآشوريين بل ساعده قائد القوات المصرية فى رفح والذى ذكر فى التوراة باسم سيبئة، وكانت مصر فى عهده ملاذًا للهاربين من بطش الفرس.

يقول ديودور عن باكن رنف أو بوخوريس إنه كان رابع المشرعين المصريين، وكان ذكيا للغاية (ورابع المشرعين هو الملك بوخوريس، وكان عاقلا امتاز بدهائه، فنظم جميع شئون الملك، وشرع بالتفصيل أصول المعاملات الخاصة، وقد كان حكيما فى قضائه إلى حد أن كثيرا من أحكامه لفرط سداده مأثورا إلى يومنا هذا، لكنه كان غريبا فى زيه وضعف جسده وفى النص (ويقال إن بوخوريس الحكيم الذى تولى مصر بعد ذلك العهد بوقت

طويل، قام بحملة على بلاد العرب، ولما نفدت المؤن، بسبب محل المنطقة ووعورتها، اضطر أن يبقى يوما بلا زاد وأن يقنع بحياة غاية فى التقشف بين من التقى بهم من عامة الشعب) وعن قوانينه:

١- يعاقب كمجرم من يشهد بالزور.

٢- يعاقب كل من يحول مجرى ماء الرى عن جاره.

٣- مبدأ البينة على من ادعى واليمين على من أنكر وهو ما يعنى أن من حصل على شىء بدون إثبات، وأنكر حصوله عليه لا يعاقب، ويقول النص (وتنسب قوانين المعاملات لبوخوريس، وهى تقضى من ناحية بأن من اقترض مالا دون إيصال وأنكر الدين، يعفى من سداده إذا حلف اليمين على ذلك).

٤- لا يجوز أن يكون الشخص الذى عليه دين عبدا لدى صاحب الدين.[١٦]

٥- حق ملكية الأراضى بعد أن كانت مقيدة بشروط[١٧].

والرائع أن اغلب هذه القوانين لم تكتب على أيامه، ولكن ذكرت فى نصوص مراحل تالية لا سيما من وثائق تونا الجبل، والتى أشار إليها جرجس متي[١٨].

العصر الكوشي:

بعد اختفاء باكن رنف الذى تقول الأساطير إنه مات مقتولا أو محروقا من قبل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، الذين تحركوا إلى منف لاتخاذها كعاصمة، وربما يكون سبب ذلك رغبتهم فى متابعة نشاط الآشوريين، إضافة إلى أن منف كان مركز التتويج فحرصوا على كسب ود المصريين.

بعد بيعنخى جاء شباكا الذى ينسب إليه إلغاء عقوبة الإعدام (وبعد زمن طويل التقى عرش مصر سباكون، وهو حبشى الأصل وإن فاق كل من سبقه

فى التقوى والصلاح، وقد نستشهد على طيبة قلبه بأنه ألغى أكثر العقوبات قسوة وهى عقوبة الموت، فبدلا من أن يقتل المدانين، كان عليهم أن يقوموا بأعمال فى المدن مكبلين)[١٩].

ينسب إلى هذه الأسرة كذلك أن أحد ملوكها الملك شبتكا كان أول من وقع تحالف مع اليهود فى أورشليم، وهو ماسخر منه نص الكتاب المقدس (فرجع ربشاقى ووجد ملك آشور يحارب لبنة لأنه سمع انه ارتحل عن لخيش وسمع عن ترهاقة ملك كوش قولا قد خرج ليحاربك فعاد وأرسل رسلا إلى حزقيا قائلا هكذا تكلمون حزقيا ملك يهوذا قائلين لا يخدعك إلهك الذى أنت متكل عليه قائلا لا تدفع أورشليم إلى يد ملك آشور أنك قد سمعت ما فعل ملوك آشور بجميع الأراضى لإهلاكها و هل تنجو أنت)[٢٠].

وكان خلفه الملك طاهرقا أشهر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الذى كان أول الملوك الذين فسروا زيادة فيضان النيل بزيادة مياه الأمطار فى المنابع وكان عليه مواجهة الآشوريين فى عهد آشور أخادين (أوسر حدون) ويقول نص الكتاب المقدس على لسان اشعيا، وهو يقول على لسان ربه أنه لاينبغى الوقوف مع مصر، والتحالف مع الآشوريين (اهيج مصريين على مصريين فيحارب رجل أخاه، ورجل صاحبه، مدينة مدينة ومملكة مملكة)[٢١].

حاول آشور أخادين مهاجمة مصر مرتين فى الأولى هزم وفى الثانية نجح فى السيطرة على مصر، وقام بتدمير منف وتغيير أسماء بعض المدن إلى أسماء آشورية بل تصور بعض مناظر آشور الملك المصرى راكعا أمام الملك الآشورى بل فعل الآشوريون نفس ما فعله العثمانيون من جمع المهرة من الصناع المصريين إلى بلاده.

آشور اخادين يسيطر على الملك المصرى ويقيد بعضًا من أمرائها

قامت الثورة ضد آوسر حدون ولم يستطع ترك بلاده حتى مات فاستغل المصريون الحدث وثاروا مستقلين عن الآشوريين وهنا قام ابنه آشور بانيبال بالهجوم على مصر عام ٦٦٦ قبل الميلاد وشنق أعداءه الذين كانوا متجمعين حسب نصوصه فى تانيس ولم يبق معه إلا نخاو أحد أمراء سايس لأنه كان منافسا وكارها لطهرقا

قامت مصر بالثورة ثانية مع شخص تانوات آمون ابن شقيق طاهرقا الذى رأى رؤية فيها ثعبانين أحدهما إلى اليمين والأخر إلى الشمال وأبلغه المفسرون أن هذا مؤشر لانتصاره على أعدائه فى الدلتا والصعيد ولكنه لم يحقق أيًّا من هذا الحلم لأن آشور بانيبال كان من العنف بحيث دمر طيبة وسجل انتصاراته على ٥٥ تمثالا ملكيا مصريا وهو التدمير الذى تحدث عنه الكتاب المقدس: (مِنْ أَجْلِ زِنَى الزَّانِيَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمَالِ صَاحِبَةِ السِّحْرِ الْبَائِعَةِ أُمَمًا بِزِنَاهَا، وَقَبَائِلَ بِسِحْرِهَا هاأنذا عَلَيْكِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فَأَكْشِفُ أَذْيَالَكِ إِلَى فَوْقِ وَجْهِكِ، وَأُرِى الأُمَمَ عَوْرَتَكِ وَالْمَمَالِكَ خِزْيَكِ .وَأَطْرَحُ عَلَيْكِ أَوْسَاخًا، وَأُهِينُكِ وَأَجْعَلُكِ عِبْرَةً .وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَرَاكِ يَهْرُبُ مِنْكِ وَيَقُولُ: خَرِبَتْ نِينَوَى، مَنْ يَرْثِى

لَهَا؟ مِنْ أَيْنَ أَطْلُبُ لَكِ مُعَزِّينَ؟ .«هَلْ أَنْتِ أَفْضَلُ مِنْ نُوَ أَمُونَ الْجَالِسَةِ بَيْنَ الأَنْهَارِ، حَوْلَهَا الْمِيَاهُ الَّتِى هِى حِصْنُ الْبَحْرِ، وَمِنَ الْبَحْرِ سُورُهَا؟ كُوشٌ قُوَّتُهَا مَعَ مِصْرَ وَلَيْسَتْ نِهَايَةٌ. فُوطٌ وَلُوبِيمُ كَانُوا مَعُونَتَكِ) [٢٢].

النهضة الأخيرة فى العصر الصاوي:

يسمى هذا العصر بالعصر الصاوى نسبة إلى عاصمته صا الحجر غربية، وتتميز كتابات هذا العصر بتعدد مصادرها ما بين المصادر الكلاسيكية والمسمارية، إضافة إلى ما ذكره الكتاب المقدس.

أكثر المستفيدين من الصراع بين الأسرة الكوشية والآشوريين كان الأمير بسماتيك ابن نخاو الذى تمكن باستغلال الوحى الإلهى أن يسيطر على البلاد وذلك أنه قال إن وحى الإله سيعطى الحكم لمن يتمكن من شرب النبيذ المقدس فى إناء من البرونز وكان عدد الأمراء ١٢، وطبقا لنص هيرودوت: (وكان سبا كو الحبشى قد نفى بسماتيك هذا فى مرة سابقة، نفاه إلى سوريا بعد أن قتل أباه نيكوس، ولما غادر الحبشى البلاد بسبب الحلم الذى رآه، استرجع المصريون من أهل سايس بسماتيك، فكان من سوء طالعه أن ينفيه الملوك الأحد عشر إلى المستنقعات بعد أن أصبح ملكا بسبب الخوذة)[٢٣].

استعان بسماتيك بالمرتزقة الأيونيين والليديين لمساعدته فى التخلص من أعدائه، كما استعان بحكام مصر الوسطي، ومنح صلاحيات لبعض الحكام لا سيما فى مصر العليا، وكان أهمهم على الإطلاق منتومحات الذى كان الكاهن الثالث لآمون فى طيبة، وذلك مقابل أن تتبنى ابنة منتومحات ابنة الملك كحرم مقدس لآمون وذلك ليتمكن من السيطرة على الصعيد[٢٤].

منتومحات الكاهن الثالث لآمون بطيبة فى هيئتيه الطبيعية والرسمية (المتحف المصري)

الجميل أنه لم يعادِ الآشوريين بعد إنهاء وجودهم فى مصر، بل وقع معهم معاهدة عدم تعدٍّ، وسعى لفتح أبواب تجارة مع العالم الخارجى فظهرت طبقة جديدة أسمتها النصوص imy-r aw أى المشرفين على الترجمة.

عند موت بسماتيك الأول، ظهرت قوتان فى الشرق الادنى وهما البابليون والميديون، ولذا قام نخاو الثانى ابن بسماتيك بحملة استباقية إلى فلسطين (بعد كل هذا حين هيا يوشيا البيت صعد نخو ملك مصر إلى كركميش ليحارب عند الفرات فخرج يوشيا للقائه، فأرسل إليه رسلا يقول ما لى ولك يا ملك يهوذا لست عليك أنت اليوم ولكن على بيت حربى والله أمر بإسراعى فكف عن الله الذى معى فلا يهلكك، ولم يحول يوشيا وجهه عنه بل تنكر لمقاتلته ولم يسمع لكلام نخو من فم الله بل جاء ليحارب فى بقعة مجدو وأصاب الرماة الملك يوشيا فقال الملك لعبيده انقلونى لأنى جرحت جدا فنقله عبيده من المركبة وأركبوه على المركبة الثانية التى له وساروا به إلى أورشليم فمات ودفن فى قبور آبائه وكان كل من من يهوذا وأورشليم ينوحون على يوشيا، ورثى إرميا

يوشيا وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا فى مراثيهم إلى اليوم وجعلوها فريضة على إسرائيل و ها هى مكتوبة فى المراثي).[٢٥]

بعد ذلك تمكن الملك المصرى من الوصول إلى أواسط بلاد الشام وحقق انتصارًا على البابليين بالقرب من الفرات وكانت مصر بهذا تستعيد ولو شكليا هيمنة على الهلال الخصيب مرة ثانية تمكن نخاو من ضرب وعزل ابن يوشيا وعين بدلا منه ايليقيم فيما يعد التحالف الثانى بين مصر واليهود فى العصر المتأخر (عزله ملك مصر فى أورشليم و غرم الأرض بمائة وزنة من الفضة وبوزنة من الذهب ومِلك ملك مصر الياقيم أخاه على يهوذا وأورشليم وغير اسمه إلى يهوياقيم وأما يواحاز أخوه فأخذه نخو وأتى به إلى مصر وأسره فرعون نخو فى ربلة فى أرض حماة لئلا يملك فى أورشليم وغرم الأرض بمائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب وملك فرعون نخو الياقيم بن يوشيا عوضا عن يوشيا أبيه و غير اسمه إلى يهوياقيم وأخذ يهواحاز وجاء إلى مصر فمات هناك)[٢٦].

اعتقد نخاو أنه يمكنه تحقيق الانتصار فى أى موقع وأى ظروف ولكنه اصطدم بقوة عتية هى قوة نبوخذ نصر الذى تمكن من هزيمة نخاو عند منطقة بالقرب من نهر الكلب، وتمكن أن يستقطب اليهودى يهوياقيم الذى أصبح تابعا له ولكنه كسنة اليهود تحالف مع الملك المصرى مرة ثانية ولكنه هزم من قبل نبوخذ نصر (أرسلت ضده جيشا مؤلفا من كلدانيين وسوريين ومؤابيين وعمونيين، وقتل الوالى وعين نبوخذ نصر بديلا له صدقيا حاكما لأورشليم)[٢٧].

ابتعد نخاو بعد ذلك عن كل تفاصيل الصراع واهتم بالتجارة والبحر وعمل على شق قناة من فرع النيل البوباسطى إلى البحيرات المرة قرب ميناء الإسماعيلية الحالي.

هيرودوت قال إن وحى الإله أخبر الملك أن يحفر هذه القناة من أجل الأجنبى (ولد لبسماتيك ولد هو نيخوس، وتولى بعد ذلك حكم مصر، وهو أول من حاول شق القناة التى تؤدى إلى البحر الأحمر، وقد أتم حفرها من بعده دارا الفارسي، وطول القناة مسافة إبحار أربعة أيام، وقد شقت عريضة إلى حد أن سفينتين من ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف تمخرانها جنبا إلى جنب، ويؤتى بالماء إليها من النيل، ويؤتى به من مكان فوق مدينة بوباسطيس بقليل، بالقرب من المدينة العربية باتوموس، ----- وقد توقف نيخوس فى وسط الحفر إذ أتته نبوءة أنه ينصب من أجل بربري، وكان المصريون يعتبرون من لا يتكلم لغتهم بربريا)[٢٨] بينما يقول ديودور برأى علمى أنه ربما تخوف المصريون من أن يكون منسوب مياه البحر أعلى من منسوب الدلتا فيغرقها فتوقفوا عن المشروع (وتخرج من الفرع البيلوزى قناة صناعية تصل إلى الخليج العربى والبحر الأحمر، وأول من قام بهذا العمل نيخو، بن بسماتيك، ثم تلاه فى هذا دارا الفارسى الذى سار فى هذا المشروع شوطا بعيدا ثم تركه ولم يتمه، فقد حذره بعضهم أنه إذا أتم حفر هذه القناة فسيؤدى إلى إغراق مصر، فقد أوهموه أن مستوى سطح البحر الأحمر أعلى من مستوى سطح مصر، وقد أتم بطلميوس حفر القناة فى عصر متأخر).[٢٩]

أمر الملك بعد فشل مساعيه الحربية حملة للطواف حول أفريقيا واستمرت الرحلة طبقا لما قاله هيرودوت لمدة ثلاث سنوات وأشار إلى أنها عبرت منطقة اسماها أعمدة هيراكليس وقام ببناء سفن أيونية وكورنثية ذات ثلاث طبقات من المجاديف.[٣٠]

لاتوجد إشارات إلى عهد بسماتيك الثانى فى المصادر الكلاسيكية أو الكتاب المقدس، وما وصلنا هو نص كتبه أحد الجنرالات على أحد تماثيل رمسيس الثانى فى أبو سمبل يحكى فيه عن الجنسيات المختلفة التى كانت فى الحملة.[٣١]

فى عهد واح ايب رع (أبريس) أراد الملك أن يحقق لمصر سيطرة كبيرة على الشرق مستغلا الإمكانيات البحرية التى خلفها نخاو لكنه اصطدم موانئ صور وصيدا وعمل على مساعدة أورشليم وحاكمها صدقيا ولكنه وقع بين شقى رحى اليهود فحنانيا قال شكرا لمصر، بينما تنبأ ارميا بأن ملك مصر سوف يهزم ويعود إلى بلده وأن البابليين سوف يستولون على أورشليم ويحرقونها (فصارت كلمة الرب إلى آرميا النبى قائلة: "هكذا قال الرب إله إسرائيل هكذا تقولون لملك يهوذا الذى أرسلكم إلى لتستشيرونى، ها إن جيش فرعون الخارج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه إلى مصر ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة ويأخذونها ويحرقونها بالنار هكذا قال الرب لا تخدعوا أنفسكم قائلين إن الكلدانيين سيذهبون عنا؛ لأنهم لا يذهبون لأنكم وإن ضربتم كل جيش الكلدانيين الذين يحاربونكم وبقى منهم رجال قد طعنوا فإنهم يقومون كل واحد فى خيمته ويحرقون هذه المدينة بالنار وكان لما اصعد جيش الكلدانيين عن أورشليم من وجه جيش فرعون إن آرميا خرج من أورشليم لينطلق إلى ارض بنيامين لينساب من هناك فى وسط الشعب وفيما هو فى باب بنيامين إذا هناك ناظر الحراس اسمه يرئيا بن شلميا بن حننيا فقبض على ارميا النبى قائلا إنك تقع للكلدانيين). [٣٢]

هكذا دمرت أورشليم وقال آرميا: (هكذا قال الرب، لسوف أوقع الفرعون هوفرا بين يدى أعدائه الذين يطلبون حياته).[٣٣]

مشكلة أخرى واجهت واح ايب رع على الحدود الغربية حيث وقع صراع بين السكان المحليين من الليبيين والدوريين الذى كانوا مستقرين هناك، وأرسل الملك لمساعدة أهل برقة الليبيين ضد الدوريين ولكن جيشه وقع فى كمين وقتل عدد كبير منهم وثار الجنود متهمين الملك أنه يريد التخلص منهم، وفوض الملك قائد القوات للتفاوض مع الجنود، لكن هذا القائد وقف فى صف الجنود

ضد الملك وأعلن الانقلاب على الملك وربما قتله وأعلن نفسه ملكا على مصر وهو الملك عام ٥٨٦ قبل الميلاد وقبض على صدقيا أسير أمازيس أو أحمس الثانى (تولى بساميس ملك مصر ست سنوات فحسب، وتوفى بعد تسيير حملة على الحبشة مباشرة، وخلفه على العرش أبريس بن بساميس، وحكم هذا خمسة وعشرين عاما سير فيها جيشا ضد صيدا، واشتبك فى موقعة بحرية مع ملك صور، ولما كتب عليه أن يصيبه الضر، أرسل جيشا عظيما ضد القورينائيين فأدركته مصيبة عظيمة، وسخط المصريون لذلك وثاروا عليه، فقد رأوا أن أبريس أرسل بهم إلى هلاك محقق، حتى إذا هلكوا تيسر له أن يحكم بقية المصريين بمزيد من الأمن، سخط الذين رجعوا وأصدقاء الذين هلكوا لهذه التصرفات، وثاروا عليه علانية). [٣٤]

كان أحمس من الذكاء بمكان حيث أرض المصريين بإبعاد الإغريق عن المناطق الحدودية وتجميعهم فى بعض مناطق منف، أيضا قال لهم إنه سوف يضعهم فى مكان خاص بهم فى نقراطيس وقام بتطبيق ما يمكن اعتباره إقرار الذمة المالية.

كان الخطر الجديد الذى يخيف مصر هو خطر الفرس حيث ارتفع شأنهم فى هضاب إيران.

تحالف أحمس مع عدد من الحكام للوقوف ضد الفرس وكان من بينهم حاكم ليديا حيث أرسل الملك المصرى عشرة آلاف جندى ولكن هزمت القوات شر هزيمة،ولكن الرائع كان نظرة قورش حاكم الفرس للمصريين أن تركهم وأكرمهم لمعرفته بشجاعة الجندى المصرى وأنه أعد لهم مدينتين فى آسيا الصغرى ليبقوا فيها إن أرادوا.[٣٥]

خلف أحمس الثانى على العرش الملك بسماتيك الثالث، الذى تركه المرتزقة وانضموا إلى الفرس، وعاونهم بدو الصحراء فى معرفة الدروب إلى

مصر، ودخلت مصر الحرب فى بلوزيوم، ويحكى هيرودوت انه بعد مائة عام وأثناء زيارته لمصر رأى فيها جماجم الفرس ضعيفة هشة وجماجم المصريين صلبة قوية.[٣٦]

لم يكتب لقمبيز الاستمرار كثيرا فقد وقع فى خطأ العداء مع كهنة منف حيث وكز العجل أبيس وقتله فأعلن الكهنة أن الآلهة سوف تنتقم منه وبالفعل أعد ثلاث حملات إلى النوبة وقرطاجة وآمون فى سيوة وفشلت كل الحملات، بل يحكى هيرودوت أن جنوده قد ماتوا بفعل الرمال المتحركة فى الصحراء الغربية، ومات قمبيز عام ٥٢٢ قبل الميلاد وخلفه ابنه دارا الأول الذى خدر المصريين بإصلاحات إدارية وإنشاء لمعبد هيبيس. خدرت إصلاحات دارا الأول المصريين، وأبعدتهم عن التفكير فى المقاومة، ولكن هزيمة الفرس فى ماراثون عام ٤٩٠ قبل الميلاد دفعت المصريين للثورة وكانت أولى ثوراتهم عام ٤٨٦ قبل الميلاد[٣٧]، وهى الثورة التى قابلها اكسركسيس بكل قسوة فيقول هيرودوت: (كانت الرغبة الأولى أمام اكسركسيس الأول أن يخرج ضد الثوار فى السنة التالية لموت دارا، واستبعد اكسركسيس الأول المصريين أكثر من أى زمن، وجعل حاكمها هو أخيه اخمنيس الذى ذبحه الليبى ايناروس بن بسماتيك).[٣٨]

بعد هذه الثورة قام المصريون بثورة ثانية عام ٤٦٥ قبل الميلاد وساعد الأثينيون المصريين بـ ٣٠٠ سفينة وأرسلت مصر لهم القمح، لكن الفرس تمكنوا من الاستيلاء على أجزاء من مصر السفلى وانتهت الثورة بالقبض على إيناروس الثائر المصري.[٣٩]

عام ٤٤٥ قبل الميلاد قام القائد العسكرى المصرى اميرتيوس بالثورة مرة ثالثة وهذه المرة تعامل الفرس مع المصريين بكثير من الاحترام والتبجيل (وعين الفرس تنايرس بن ايناروس، وبوزيريس بن اميراتيوس فى مناصب الأبوين).[٤٠]

المستفيد من الوضع كان اليهود الذين تعاملوا مع الوالى الفارسى كتابعين ثم أرسلوا للمصريين بعد انتصارهم يطلبون مساعدتهم ضد الوالى الفارسى الذى اتهموه بأنه دمر معبد يهوة ومن وثيقة تؤرخ بالسنة الخامسة من حكم دارا الثانى وهى عبارة عن خطاب أرسله حنانيا إلى جيدانيا ويقول العمود الأول من الخطاب: السنة ١٤ حين ذهب مولانا أرشام إلى الملك، تلك جريمة كهنة خنوب فى قلعة الفنتين، حين اتفقوا مع فيدرانجا الذى كان فراتركا هنا، وأعطوه فضة وبضائع، وكان يوجد مخازن ملكية فى وسط قلعة الفنتين، هدموها وبنوا سورًا فى وسط القلعة.

أما العمود الثاني: الآن، فقد بنيت الأسوار فى وسط القلعة.

الخلاصة

وهكذا يتضح من دراسة أحوال مصر فى الأسرات من الحادية والعشرين حتى السابعة والعشرين أن العديد من المصادر تناولتها، وأن الكتاب المقدس تناولها بشىء من التفصيل لم يقدمه من قبل، وهو الأمر الذى يرتبط ربما بالتواجد اليهودى فى مصر خلال العصر المتأخر فى الفنتين، حتى إذا ما سقط الحكم الفارسى فى عام ٤٠٤ قبل الميلاد، وعادت مصر إلى الحكم الوطنى وتواجد الأيونيين بشكل كبير ما يدعو للإشارة لمصر فى كتابات العهد القديم.

كما يظهر التباين فى الإشارات التاريخية عند هيرودوت الذى كان يكتفى بالإشارة وأحيانا إلى ما يسمع دون تأكيد، على عكس ديودور الذى كان موضوعيا فى الكثير من تفسيراته عن مصر.

كما يبدو من خلالها قلة المصادر المصرية وربما يرجع ذلك إلى ما عانته البلاد من تدخل أجنبى كبير، أضف إلى ذلك أن أغلب الصراعات خلال هذه المرحلة كانت فى مناطق الدلتا وهو ما قد لا يساعد على الحفاظ على الآثار نتيجة لطبيعة التربة.

الهوامش:

(١) ولا أدل على ذلك من قصة شفط المياه عن معبد الأقصر بهو أعمدة تحتمس الثالث وإرساله ٣٠٠٠ عامل لتنظيفه،

- H. Kees, *Ancient Egypt*, p.203

(٢) يرجع أصل هذه التسمية إلى نهاية عصر الانتقال الثاني، يراجع: دريوتون- فانديبه، مصر، ترجمة عباس كامل، القاهرة، ١٩٥٧، ص.٥٦٦ وما بعدها.

- S- Hansen, Das Gottesweib des Amun, 1940.

(٣) عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٩٠، ص.٣٧٧

(٤) الملوك الأول، ١٠: ١٤-٢٢.

(5)PM I, 173ff, 198f. ،

من الجميل التعليق على ما قامت به عائلة عبد الرسول من سرقة التوابيت، ثم اختلف أهلها وأبلغوا عن بعضهم البعض.

- G. Maspero, Les momies royales de Deir el-Bahari, 1889, 72-90., G. Eliot Smith, The Royal
- Mummies, 1912, G. Daressy, Cercueils des cachettes royales, ASAE 8, 3ff.

(٦) كان أول من أشار إلى هذا التعبير عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص. ٤٠١، وقصد به أنهم كانوا قبائل خليطة من أهل الواحات والصحراء الغربية ومجموعات من شعوب البحر وحاولوا الدخول إلى مصر ولكنهم لم يتمكنوا بالقوة فتسللوا إليها عبر الحدود .

(٧) خالد غريب، مصر فى عصرى الأسرتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاثار، القاهرة، ١٩٩٥، ص.٢٢.

(8)Diodoros, XV,42,3.

(٩) يقول النص إن شاشانق حصل على حق عمل وقف قرابين لأبيه.

- Blackmann, The stela of Shoshenk, Great chief of the Meshwesh, *JEA27*, p.83ff

(١٠) محمد عبد القادر، آثار الأقصر، القاهرة، ١٩٧١، ص.١٢٢.

(١١) الملوك الأول ١١- ٤٠.

(١٢) الملوك الأول، ١٥- ٢٤.

(13) PM VII, 388.

(١٤) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص.٤١١.

(١٥) الملوك الثاني، ١٧: ١-٦.

(16) M. Revillout, Bocchoris et son code, *Rev. Egy*, 1907, p.124-141.
(17) Diodoros, I, 45,79,94.
(18) G. Mattha, *The Demotic Legal Code of HermopolisWest,* Cairo, 1975.
(19) Diodoros, I, 65
(٢٠) الملوك الثاني، ١٩: ٨.
(٢١) الملوك الثانى ١٩: ٣٥.
(٢٢) ناحوم ٣ : ٨-١٠.
(٢٣) Herodotus II, 152، تقول الأسطورة إن وحى الإله قد حدد أن من يتولى الحكم سيشرب من إناء برونزي، وكان الكاهن يأتى يوميا ومعه أوانٍ ذهبية بعدد المتصارعين، حتى جاء يوم ووجدت الأوانى الذهبية غير كاملة فخلع بسماتيك خوذته وشرب فيها النبيذ لتتحقق نبوءة الإله.
(24) J. Leclant, *Mentouemhat*, Paris, 1961, p.121.
(٢٥) أخبار الأيام الثانى ٣٥- ٢٥:٢٠.

(٢٦) الملوك الثانى ٢٣- ٣٥، ٢٠-٢٥.
(٢٧) الملوك الثانى ٢٤: ١-٤.
(28) Herodotus, II, 158.
(29) Diodoros, I, 33.
(30) Herodotus, IV, 42.
(31) A. Rowe, *New Light on objects belonging to the general Potasimto and Amasis in the Egyptian Museum*, Cairo, 1956, p.156 .
(٣٢) إرميا ١:٢٨، ٣٧: ١-٥ .
(٣٣) إرميا ٤٤-٣.
(34) Herodotus, II, 161.
(35) Herodotus, I, 77.
(36) Herodotus, III, 3-7
(٣٧) نيقولا جريمال، مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، القاهرة، ١٩٩٣، ص.٤٧٧.
(38) Herodotus, VII, 7.
(39) Thucidys, *La guerre du Peloponnese*, Collection des Unversitée de France, Paris, 1967, p.112 .
(40) Herodotus, III, 15.